الولاء والبراء

عقيدة منقولة وواقع مفقود

الشيخ الإمام
ايمن الظواهري

المقدمة

تشهد هذه العقود من تاريخ الأمة المسلمة صراعاً محتدماً بين قوى الكفـر والطغيان والاستكبار وبين الأمة المسلمة وطليعتها المجاهدة، وقد بلغ هـذا الصراع ذروته بغزوتي نييورك وواشنطن المباركتين، ومـا تلاهمـا من إعلان بوش لحملته الصليبية الجديـدة ضـد الإسـلام، أو مـا أسـماه بـالحرب على الإرهاب.

وقد اتضح من أحداث هذه الحرب ووقائعهـا مـدى الحاجـة الماسـة لإدراك خطورة عقيدة الولاء والـبراء في الأسـلام، ومـدى التفريـط والتقصـير في القيام بأمانة هذا الـركن العظيم في العقيـدة الإسـلامية، ثم مـدى الخـداع الــذي يمارســه أعــداء الإسـلام وأتبـاعهم وأعـوانهم على جمـاهير الأمـة المسلمة بطمس معالم هذا الركن الركين، وإظهار الأعداء بصورة الأوليـاء ورمي الأبرار بتهم الفجار.

هؤلاء الأعداء الذين يشنون حملة تضـليل فكريـة وعقديـة موازيـة لحملتهم الصليبية العسـكرية، سـعياً منهم في ترقيـع الواقـع المهـترئ، الـذي تمثلـه أنظمة الحكم في بلادنا، بكـل فسـادها وإفسـادها ومـذلتها لقـوى الطغيـان العالمية الصليبية اليهودية.

هذه الحملة التي تهـدف إلى طمس الحـدود الفاصـلة بين الحـق والباطـل حتى يختلط الأعداء بالأولياء.
بـل وتهـدف أيضـاً – في محاولتهـا المحمومـة لمواجهـة المـد الأسـلامي الجهادي المتصاعد - إلى تزيين واقع التخـاذل والتبعيـة والتخـاذل والإذعـان لغير الله وتحكيم غير شرعه، جنباً إلى جنب مع تشويه دعوة الحق والجهاد والعزة التي ترفع رايتها طلائع الأمة المجاهدة وأنصارها والجماهير الملتفـة حولها.

وكلما ازدادت قوة دعوة الجهاد والحـق والعـزة ازدادت في مقابلهـا دعـوة الباطل والقعود والمذلة، حـتى أن أصـحابها لم يجـدوا حرجـاً في أن يتبنـوا دعـوة غلاة المرجئـة الأوائـل رغم صـياحهم ولغطهم المسـتمر أنهم حمـاة عقيدة السـلف والقـرون الأولى الفاضـلة، ولم يجـدوا أيـة غضاضـة في أن يتبنــوا مقــالات العلمــانيين الفجــرة رغم زعمهم أنهم حــراس الشــريعة والمـدافعون عنهـا، فلا يضـر المـرء عنـدهم أن يكـون موظفـاً مـدافعاً عن الحكومــة في جيشــها أو أجهــزة أمنهــا أو إعلامهــا أو قضــائها يــدعو إلى العلمانيـة ويـروج للاعـتراف بإسـرائيل والاستسـلام لهـا، ويكـون في نفس الوقت مسلماً تقياً ورعاً، يصوم ويصلي ويحج ويزكي!!

حتى لقد رأينا أعرق الأسر الحاكمة في خدمة المصالح الأمريكية وهم يزعمون حماية عقيدة التوحيد، ورأينا أئمة الكفر الذين يفرضون الدساتير العلمانية ويحكمون بالقوانين الوضعية ويتسابقون في سياسة التطبيع مع إسرائيل وهم يرعون مسابقات تحفيظ القرآن لطلاب الجامعات التي يمنعون الحجاب فيها، ورأينا أشد الجلادين تعذيباً للمسلمين وهم يحجون ويعتمرون، ورأينا قطاع الطرق في أفغانستان يقبضون رواتبهم من القوات الأمريكية، ويدفعهم الأمريكان أمامهم ليقاتلوا المجاهدين، ثم بعد ذلك يتبركون بملابس شهداء المجاهدين وبتراب قبورهم!!

كما حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن التتار فقال: (حتى إن الناس قد رأوهم يعظمون البقعة ويأخذون ما فيها من الأموال، ويعظمون الرجل ويتبركون به ويسلبونه ما عليه من الثياب، ويسبون حريمه، ويعاقبونه بأنواع العقوبات التي لا يعاقب بها إلا أظلم الناس وأفجرهم، والمتأول تأويلاً دينياً لا يعاقب إلا من يراه عاصياً للدين، وهم يعظمون - من يعاقبونه - في الدين، ويقولون إنه أطوع منهم، فأي تأويل بقي لهم؟) [1] .

ولا غرابة في ذلك فإنها آلة الباطل المرغية المزبدة التي تخلط كل شيء في سعيها لاستمرار الفساد الجاثم فوق صدورنا والاحتلال الرابض فوق تراب أمتنا الطاهر وخاصة في أقدس بقاعه: الحرمين الشريفين والقدس المباركة.

هذه هي حصيلة دعوتهم لأي متأمل متدبر؛ استمرار الحكم الفاسد المفسد الخارج عن الشريعة، وفتح البلاد لقوات الحملة الصليبية الجديدة، هذا هو هدفهم المرصود في كل كلمة ينطقون بها أو يذيعونها أو يطبعونها.

هذه الفئة التي فضح القرآن أسلافها الأوائل وكشف حقيقتهم وبين أنهم يبغون الفتنة في الصف المسلم، وأنهم أسرع الناس إلى قبولها، وأنهم المسارعون إلى الكفار ضماناً لمصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية ، قال تعالى: { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين } [2] ، وقال سبحانه: { وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وقالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً، ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً } [3].

لهذا رأينا أن أهم فتنة – في هذا العصر- تهدد التوحيد والعقيدة الإسلامية هي فتنة الانحراف عن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، فسطرنا هذه الصفحات إعذاراً وإنذاراً لأمتنا المسلمة في صحوتها المباركة وجهادها

[1] ? الفتاوى الكبرى، مسألة 813، ج4 ص332 وما بعدها.
[2] التوبة 46 –47.
[3] ? الأحزاب 12 -14

المنصور – بإذن الله - على الحملة الصـليبية الأمريكيـة اليهوديـة على أمـة الإسلام.

وقد قسمنا الكلام فيها إلى فصلين وخاتمة:

الفصل الأول عن: أركان الولاء والبراء في الإسلام.
والفصل الثاني عن: صور من الانحراف عن عقيدة الولاء والبراء.
وخاتمة عن: المعاني التي نود التأكيد عليها.

فما كان فيها من خير فهو من توفيق المولى سبحانه وما كان فيها من غير ذلك فهو من أنفسنا والشيطان، { وما توفيقي إلا بالله عليه تـوكلت وإليـه أنيب }[4] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أيمن الظواهري
شوال 1423

[4] هود 88.

الفصل الأول

أركان الولاء والبراء في الإسلام

1- النهي عن تولي الكافرين :

قال الله تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير } [5] .

قال الطبري رحمه الله : (ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً، توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك فقد برىء من الله وبرىء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر) [6] .

وقال الله تعالى: { بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً } [7] .

وقال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً } [8] .

قال الطبري رحمه الله : (يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا توالوا الكفار فتوازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين فتكونوا كمن أوجب له النار من المنافقين) [9] .

وقال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين، يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه

[5] آل عمران 28.
[6] ? تفسير الطبري ج3 ص227.
[7] النساء 139.
[8] ? النساء 144.
[9] تفسير الطبري ج5 ص337.

أذلـة على المؤمـنين أعـزة على الكـافرين يجاهـدون في سـبيل اللـه ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واللـه واسـع عليم * إنمـا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكـاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون * يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا الـذين اتخـذوا دينكم هـزواً ولعبـاً من الـذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفـار أوليـاء واتقـوا اللـه إن كنتم مؤمـنين، وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون } [10] .

قال الطبري رحمه الله : { يعني تعالى ذكـره بقولـه { ومن يتـولهم منكم فإنه منهم } ومن يتول اليهـود والنصـارى دون المؤمـنين { فإنـه منهم } ، يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه ومـا هـو عليـه راض، وإذا رضـيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه) [11] .

وقال ابن حجر العسقلاني في شرح حـديث ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا : ((إذا أنزل اللـه بقـوم عـذاباً أصـاب العـذاب من كـان فيهم ثم بعثـوا على أعمالهم)) [12] .

قال ابن حجر رحمه الله : (ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لأن الإقامـة معهم من إلقـاء النفس إلى التهلكـة، هـذا إن لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم، فإن أعان أو رضي فهو منهم) [13] .

ولذلك أوجب الله سبحانه لهم الخلود في النار، قال تعالى : { تـرى كثـيراً منهم يتولون الذين كفـروا لـبئس مـا قـدمت لهم أنفسـهم أن سـخط اللـه عليهم وفي العذاب هم خالدون، ولو كانوا يؤمنون باللـه والنـبي ومـا أنـزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون } [14] .
وقال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئـك هم الظـالمون، قـل إن كـــان آبـــاؤكم وأبنـــاؤكم وإخـــوانكم وأزواجكم وعشـــيرتكم وأمـــوال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللـه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصـوا حـتى يـأتي اللـه بـأمره واللـه لا يهـدي القوم الفاسقين } [15] .

قال ابن كثير رحمه الله : (وروي الحافظ البيهقي من حديث عبد اللــه بن شوذب قال : جعـل أبـو أبي عبيـدة بن الجـراح ينعت لـه الآلهـة يـوم بـدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبـو عبيـدة فقتلـه،

---

[10] ? المائدة 51- 58.
[11] تفسير الطبري ج6 ص277.
[12] ? رواه البخاري 7108.
[13] ? فتح الباري ج31 ص61.
[14] ? المائدة 80.
[15] ? التوبة 32-24.

فأنزل الله فيه هذه الآية ، وقد ثبت في الصحيح [16] عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))) [17] .

أ- الفرق بين الموالاة والتقية :

فرقت الشريعة بين موالاة الكافرين المنهي عنها وبين اتقاء شرهم، قال الله تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير } [18] .

قال ابن كثير رحمه الله : (وقوله تعالى { إلا أن تتقوا منهم تقاة } أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله ان يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري: عن أبي الدرداء أنه قال: " إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم " ، وقال الثوري قال ابن عباس: " ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان") [19] ، والكَشْرُ: بدو الأسنان عند التبسم [20] .

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى : { وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيت في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين } : (وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين، أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة }) [21] .

وقال القرطبي رحمه الله : (قال معاذ بن جبل ومجاهد : " كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم " ، قال ابن عباس : " هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مأثماً " ، قال الحسن : " التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقية في القتل " ، وقيل : إن المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان ، والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم ، ومن أكره على الكفر فالصحيح أن له أن يتصلب ولا يجيب إلى التلفظ بكلمة الكفر، بل يجوز له ذلك) [22] .

وقال الطبري رحمه الله : ({ إلا أن تتقوا منهم تقاة } إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم،

---

[16] ? خ 15- م44.
[17] ? تفسير ابن كثير ج2 ص343، 344 .
[18] ? آل عمران 28.
[19] ? تفسير ابن كثير ج1 ص358.
[20] ? لسان العرب ج5 ص142.
[21] تفسير ابن كثير ج4 ص394.
[22] ? تفسير القرطبي ج4 ص57.

وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل)[23] .

ويؤيد هذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما تكلم عمن أكرهه التتار على الخروج في جيشهم، فقال رحمه الله : (وإذا كان الجهاد واجباً وإن قتل من المسلمين ما شاء الله، فقتل من يقتل فى صفهم من المسلمين لحاجة الجهاد ليس أعظم من هذا .
بل قد أمر النبى المكره فى قتال الفتنة بكسر سيفه، وليس له أن يقاتل وإن قتل، كما فى صحيح مسلم عن أبى بكرة قال : قال رسول الله : ((إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتن، ألا ثم تكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بابله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)) ، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض، قال: ((يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن إستطاع النجاة، اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت)) ، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت أن أكرهت حتى ينطلق بى إلى إحدى الصفين أو إحدى الفئتين، فيضربني رجل بسيفه أو بسهمه فيقتلني، قال: ((يبوء باثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار)).
ففى هذا الحديث أنه نهى عن القتال فى الفتنة، بل أمر بما يتعذر معه القتال من الاعتزال أو إفساد السلاح الذى يقاتل به، وقد دخل فى ذلك المكره وغيره، ثم بين أن المكره إذا قتل ظلماً كان القاتل قد باء باثمه وإثم المقتول، كما قال تعالى فى قصة إبنى آدم.
والمقصود أنه إذا كان المكره على القتال فى الفتنة ليس له أن يقاتل، بل عليه إفساد سلاحه وأن يصبر حتى يقتل مظلوماً، فكيف بالمكره على قتال المسلمين مع الطائفة الخارجة عن شرائع الإسلام كمانعي الزكاة والمرتدين ونحوهم، فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكره على الحضور أن لا يقاتل وإن قتله المسلمون، كما لو أكرهه الكفار على حضور صفهم ليقاتل المسلمين، وكما لو أكره رجل رجلاً على قتل مسلم معصوم، فإنه لا يجوز له قتله بإتفاق المسلمين، وإن اكرهه بالقتل فإنه ليس له حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم)[24] .

فالخلاصة : أن المسلم إذا واجه ظروفاً تعرض فيها للقتل أو القطع أو الإيذاء العظيم فيجوز له أن يتلفظ ببعض الكلمات ليرد بها أذى الكافرين، دون أن يقوم بفعل يساندهم به أو يأتي مأثماً أو يعينهم على مسلم بفعل أو قتل أو قتال، والأفضل له أن يصبر على الأذى ولو أدى إلى قتله.

---

[23] تفسير الطبري ج3 ص227.
[24] ? مجموع الفتاوى ج 28 ص 538، 539.

2- بغض الكافرين وترك مودتهم :

أ- نهانا الله سبحانه وتعالى أن نواد من حاد الله ورسوله :

قال الله تعالى : { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يـوادون من حـاد الله ورسوله ولو كانوا آبـاءهم أو أبنـاءهم أو إخـوانهم أو عشـيرتهم أولئـك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتهـا الأنهار خالدين فيها رضي اللـه عنهم ورضـوا عنـه أولئـك حـزب اللـه ألا إن حزب الله هم المفلحون }[25] .

قال ابن كثير رحمه الله : (وقيل في قولـه تعـالى { ولـو كـانوا آبـاءهم } نزلت في أبي عبيدة قتل أبـاه يـوم بـدر، { أو أبنـاءهم } في الصـديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، { أو إخـوانهم } في مصـعب بن عمـير قتـل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، { أو عشيرتهم } في عمر قتل قريبـاً لـه يومئـذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلـوا عتبـة وشـيبة والوليـد بن عتبة يومئذ فالله أعلم.
قلت : ومن هذا القبيـل حين استشـار رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم المسلمين في أسارى بدر، فأشـار الصـديق بـأن يفـادوا فيكـون مـا يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعـل اللـه تعـالى أن يهديهم، وقال عمر: "لا أرى ما رأى يا رسول الله، هـل تمكنـني من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتمكن علياً من عقيـل، وتمكن فلانـاً من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين ..." القصة بكمالها.
وقال ابن عباس: { وأيدهم بروح منه } أي قواهم.
وفي قوله تعالى { رضي الله عنهم ورضوا عنه } سر بـديع، وهـو أنـه لمـا سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم اللـه بالرضـا عنهم وأرضاهم عنه)[26] .

وقال الله تعالى : { يا أيهـا الـذين آمنـوا لا تتخـذوا عـدوي وعـدوكم أوليـاء تلقون إليهم بالمودة وقد كفـروا بمـا جـاءكم من الحـق يخرجـون الرسـول وإيـاكم أن تؤمنـوا باللـه ربكم إن كنتم خـرجتم جهـاداً في سـبيلي وابتغـاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السـبيل * إن يثقفـوكم يكونـوا لكم أعـداءً ويبسـطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون * لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصـير * قـد كـانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنـا بـرآء منكم وممـا تعبدون من دون الله كفرنـا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ومـا أملـك لـك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنـا فتنة للذين كفروا واغفر لنـا ربنـا إنـك أنت العزيـز الحكيم * لقـد كـان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هـو

[25] ? المجادلة 22.
[26] ? تفسير ابن كثير ج4 ص330، 331.

الغني الحميد * عسى الله أن يجعل بينكم وبين الـذين عـاديتم منهم مـودة والله قدير والله غفـور رحيم * لا ينهـاكم اللـه عن الـذين لم يقـاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تـبروهم وتقسـطوا إليهم إن اللـه يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الـدين وأخرجـوكم من ديـاركم وظـاهروا على إخـراجكم أن تولـوهم ومن يتـولهم فأولئـك هم الظالمون } [27] .

قال ابن كثير رحمه الله : (كان سبب نـزول صـدر هـذه السـورة الكريمـة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، قال الإمام أحمد [28] أن عبيد الله بن أبي رافـع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول : بعثـني رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم أنا والزبير والمقداد، فقال : " انطلقوا حتى تـأتوا روضـة خـاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها "، فانطلقنـا تعـادى بنـا خيلنـا حـتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا : أخرجي الكتـاب ، قـالت : مـا معي كتاب ! قلنا : لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب ، قـال : فـأخرجت الكتـاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فإذا فيه ؛ من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم : "يا حـاطب مـا هـذا؟ "، قـال: لا تعجـل علي، إني كنت أمـراً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكـان من معـك من المهـاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلـك من النسـب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلـك كفـراً ولا ارتـداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه صدقكم "، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه قد شهد بدراً وما يـدريك لعـل اللـه اطلـع إلى أهـل بـدر فقـال اعملـوا مـا شئتم فقـد غفـرت لكم " وهكـذا أخرجـه الجماعـة إلا ابن ماجـة [29] من غـير وجـه عن سـفيان بن عيينـة بـه، وزاد البخاري في كتاب المغازي [30] فأنزل الله السورة.
{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء } يقول تعـالى لعبـاده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكـافرين وعـداوتهم ومجـانبتهم والتـبري منهم: { قد كانت لكم أسوة حسـنة في إبـراهيم والـذين معـه ... إذ قـالوا لقومهم إنا برآء منكم } أي تبرأنا منكم { ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم } أي بدينكم وطريقكم { وبـدا بيننـا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـداً } يعني وقد شرعت العـداوة والبغضـاء من الآن بيننـا مـا دمتم على كفـركم، فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضـكم { حـتى تؤمنـوا باللـه وحـده } أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثـان والأنداد) [31] .

---

[27] ? الممتحنة 1- 9
[28] ? 179.
[29] خ3007 - م2494- د2650- ت3305 -س كبرى11585.
[30] ? 4274.
[31] تفسير ابن كثير ج4 ص345- 349.

وقال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور } [32] .

قال القرطبي رحمه الله : (قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم } يعني اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين، ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهوا عن ذلك ، وقيل: إن الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار، وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره ، قال ابن عباس: { يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا } أي لا توالوهم ولا تناصحوهم، رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن أبي بلتعة) [33] .

ب- وأخبرنا سبحانه أن الكفار يبغضون المسلمين :

قال الله تعالى : { ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم } [34] .

وقال الله تعالى : { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم } [35] .

وقال الله تعالى : { هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط } [36] .

قال القرطبي رحمه الله : (والمعنى في الآية: أن من كانت هذه صفته من شدة العداوة والحقد والفرح بنزول الشدائد على المؤمنين لم يكن أهلاً لأن يتخذ بطانة، لاسيما في هذا الأمر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا والآخرة) [37] .

ج- كما أخبرنا سبحانه أنهم لن يرضوا عن المؤمنين طالما استمروا على إيمانهم :

قال الله تعالى : { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير } [38] .

---

[32] الممتحنة 13.
[33] تفسير القرطبي ج 18 ص 76,
[34] ? البقرة 105.
[35] البقرة 109.
[36] ? آل عمران 119- 120.
[37] تفسير القرطبي ج4 ص181- 183.
[38] البقرة 120- 121.

د- بل إنهم يتمنون أن يردوا المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم :

قال الله تعالى : { يا أيها الـذين آمنـوا إن تطيعـوا فريقـاً من الـذين أوتـوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين } [39].

وقال الله تعالى : { يا أيها الـذين آمنـوا إن تطيعـوا الـذين كفـروا يـردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين } [40].
قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (يعني بذلك تعالى ذكره يا أيهـا الـذين صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه، { إن تطيعوا الذين كفروا } يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهـونكم عنـه، فتقبلـوا رأيهم في ذلك، وتنتصحوهم فيمـا تزعمـون أنهم لكم فيـه ناصـحون، { يـردوكم على أعقابكم } يقول : يحملوكم على الردة بعـد الإيمـان، والكفـر باللـه وآياتـه وبرسوله بعد الإسلام، { فتنقلبوا خاسرين } يقول : فـترجعوا عن إيمـانكم ودينكم الـذي هـداكم اللـه لـه، { خاسـرين } يعـني هـالكين قـد خسـرتم أنفسـكم وضـللتم عن دينكم، وذهبت دنيـاكم وآخـرتكم، ينهي بـذلك أهـل الإيمان بالله أن يطيعـوا أهـل الكفـر في آرائهم وينتصـحوهم في أديـانهم) [41].

هـ العلاقة بين محبة المولى سبحانه وموالاة المؤمنين والجهاد في سبيل الله :

ونود بعد أن بينا أمر الشريعة بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أن نـذكر كلاماً نفيساً لشيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه في العلاقـة الوثيقـة بين محبة المولى سبحانه والجهاد.

قال ابن تيمية رحمه الله : (واسم المحبة فيه إطلاق وعموم، فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وإن كـان ذلـك من محبـة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فلهذا جـاءت محبـة اللـه مذكورة بما يختص به سـبحانه من العبـادة والإنابـة إليـه والتبتـل لـه ونحـو ذلك، فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى.
ثم إنه كان بيَّن أن محبتـه أصـل الـدين فقـد بيَّن أن كمـال الـدين بكمالهـا، ونقصه بنقصـها، فـإن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : " رأس الأمـر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله "، فـأخبر أن الجهاد ذورة سنام العمل، وهو أعلاه وأشرفه، وقد قـال تعـالى : { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخـر وجاهـد في سبيل الله لا يستوون عند الله ... إلى قوله ؛ أجر عظيم } ، والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة، وقـد ثبت أنـه أفضـل مـا تطـوع بـه العبـد، والجهاد دليل المحبة الكاملة، قال تعالى : { قل إن كان آبـاؤكم وإخـوانكم

[39] آل عمران100.
[40] آل عمران 149.
[41] تفسير الطبري ج4 ص122، 123.

وأزواجكم وعشيرتكم ..الآية } وقال تعالى في صفة المحـبين المحبـوبين: { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقـوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سـبيل اللـه ولا يخافون لومة لائم }.

فإن المحبة مستلزمة للجهاد، ولأن المحب يحب مـا يحب محبوبـه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يوالي محبوبه، ويعـادي من يعاديـه، ويرضـى لرضاه، ويغضـب لغضـبه، ويـأمر بمـا يـأمر بـه، وينهى عمـا نهى عنـه، فهـو موافق في ذلك.

وهـؤلاء هم الـذين يرضـى الـرب لرضـاهم، ويغضـب لغضـبهم، إذ هم إنمـا يرضون لرضاه، ويغضبون لما يغضب له، كما قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : " لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك " فقال لهم: يا إخـوتي هـل أغضـبتكم، قـالوا: لا يغفر الله لك يا أبا بكر.

وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا: ما أخـذت السـيوف مأخـذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش ؟ وذكـر أبـو بكـر ذلـك للنـبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم، لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضباً لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعدائهما، ولهـذا قـال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروى عن ربـه : " لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فـإذا احببتـه كنت سـمعه الـذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشـي بهـا، فـبي يسـمع، وبي يبصـر، وبي يبطش، وبي يمشـي، ولئن سـألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شـيء أنـا فاعلـه تـرددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنـا أكـره مسـاءته ولا بـد لـه منه) [42] .

وقـال ابن تيميـة رحمـه اللـه عن مـوالاة اليهـود والنصـارى : (فـإذا كـانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبـة والمـوالاة، فكيـف بالمشـابهة في أمور دينية، فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد.

والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان ، قـال اللـه تعـالى : { يـا أيهـا الـذين آمنوا لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض ومن يتـولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الـذين في قلـوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يـأتي بـالفتح أو أمـر من عنـده فيصـبحوا على مـا أسـروا في أنفسـهم نـادمين، ويقول الذين آمنوا أهـؤلاء الـذين أقسـموا باللـه جهـد أيمـانهم إنهم لمعكم حبطت أعمـالهم فأصـبحوا خاسـرين } ، وقـال تعـالى فيمـا يـذم بـه أهـل الكتاب : { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قـدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، ولو كـانوا يؤمنـون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون }.

[42] ? التحفة العراقية ج1 ص63، 64.

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.
وقال سبحانه وتعالى: { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه} فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد كافراً فمن واد الكفار فليس بمؤمن، فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة كما تقدم تقرير مثل ذلك)[43] .

وقال أيضاً رحمه الله : (والمؤمن عليه أن يعادى فى الله، ويوالى فى الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه، وإن ظلمه، فان الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال تعالى: { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون أخوة ... } ، فجعلهم أخوة مع وجود القتال والبغى والأمر بالاصلاح بينهم.
فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وان ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وان أعطاك وأحسن اليك، فان الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والاهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.
واذا اجتمع فى الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع فى الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذى اتفق عليه أهل السنة والجماعة)[44] .

و- رد شبهة :

فإن قيل فما معنى قوله تعالى: { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } ؟ ألا يدل هذا على جواز التودد إلى الكفار ومحبتهم؟

والرد عليها : أن البر وهو إيصال الخير، والقسط وهو العدل، لا يدخلان في الموالاة المحرمة التي تتضمن المحبة والتواد والنصرة باليد واللسان والمتابعة في الاعتقاد والأفعال واتخاذ الكافرين بطانة وإطلاع الكافرين على أسرار المسلمين.

---
[43] ? اقتضاء الصراط المستقيم ج1 ص221، 222.
[44] ? مجموع الفتاوى ج28 ص207- 209.

قال الشافعي رحمه الله : (قال الله عز وجل: { لا ينهاكم الله عن الـذين لم يقـاتلوكم في الـدين...الآيـتين }، قـال: يقـال واللـه أعلم إن بعض المسلمين تأثم من صلة المشركين، أحسب ذلك لما نزل فـرض جهـادهم، وقطع الولاية بينهم وبينهم، ونزل { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخـر يوادون من حاد اللـه ورسـوله ... الآيـة } ، فلمـا خـافوا أن تكـون المـودة الصلة بالمال أنزل { لا ينهاكم الله عن الـذين لم يقـاتلوكم في الـدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنمـا ينهـاكم اللـه عن الـذين قـاتلوكم في الـدين وأخرجـوكم من ديـاركم وظاهروا عل إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون }.
قال الشـافعي رحمـه اللـه : وكـانت الصـلة بالمـال والـبر والإقسـاط ولين الكلام والمراسلة بحكم اللـه غـير مـا نهـوا عنـه من الولايـة لمن نهـوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين، وذلك أنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم، ولم يحرم ذلك إلى من أظهـر عليهم، بـل ذكـر الـذين ظـاهروا عليهم فنهـاهم عن ولايتهم، وكـان الولايـة غـير الـبر والإقساط، وكان النبي فادى بعض أسارى بدر وقد كـان أبـو عـزة الجمحي ممن من عليه، وقد كان معروفـاً بعداوتـه والتـأليب عليـه بنفسـه ولسـانه، ومن بعد بدر على ثمامة بن أثال وكان معروفاً بعداوته، وأمر بقتلـه ثم من عليـه بعـد إسـاره، وأسـلم ثمامـة، وحبس المـيرة عن أهـل مكـة، فسـألوا رسول الله أن يأذن له أن يميرهم، فأذن له فمارهم، وقال الله عـز وجـل: { ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسـيراً } والأسـرى يكونـون ممن حاد الله ورسوله) [45] .

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً جواز الصـدقة والوقـف على مسـاكين أهـل الذمة : (لقوله تعالى: { لا ينهاكم الله عن الـذين لم يقـاتلوكم في الـدين ولم يخرجـوكم من ديـاركم أن تـبروهم وتقسـطوا إليهم إن اللـه يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجـوكم من ديـاركم وظـاهروا على إخـراجكم أن تولـوهم ومن يتـولهم فأولئـك هم الظـالمون } فـإن اللـه سـبحانه لمـا نهى في أول السـورة عن اتخـاذ المسلمين الكفار أولياء، وقطع المودة بينهم وبينهم، توهم بعضهم أن برهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة، فبين الله سبحانه أن ذلـك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك، بل هو من الإحسان الذي يحبـه ويرضاه وكتبه على كل شيء، وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة) [46] .

قال ابن كثير رحمه الله : (وقولـه تعـالى: { لا ينهـاكم اللـه عن الـذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم } أي لا ينهاكم عن الإحسـان إلى الكفـرة الـذين لا يقـاتلونكم في الـدين، { ولم يظـاهروا } أي يعـاونوا على إخراجكم كالنساء والضعفة منهم، { أن تـبروهم } أي تحسـنوا إليهم، { وتقسطوا إليهم } أي تعدلوا، إن الله يحب المقسطين.

[45] أحكام القرآن للشافعي رحمه الله ج2 ص191- 194.
[46] أحكام أهل الذمة ج1 ص602.

وقال الإمام أحمد [47] حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: " نعم صلي أمك " أخرجاه [48]) [49] .

3- النهي عن اتخاذهم بطانة والإدلاء إليهم بأسرار المسلمين :

قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون } [50] .

قال القرطبي رحمه الله : (والبطانة مصدر يسمى به الواحد والجمع، وبطانة الرجل خاصته الذين يستبطنون أمره ، نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أموالهم ، ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه قال الشاعر:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " ، وروي عن ابن مسعود أنه قال: " اعتبروا الناس بإخوانهم ".

ثم بين تعالى المعنى الذي لأجله نهى عن المواصلة فقال: { لا يألونكم خبالاً } يقول: فساداً، يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لايتركون الجهد في المكر والخديعة ، قوله: { ودوا ماعنتم } مصدرية، أي ودوا عنتكم، أي ما يشق عليكم، والعنت المشقة) [51] .

4- النهي عن تولية الكفار في المناصب الهامة :

قال ابن تيمية رحمه الله : (فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتبا نصرانياً ، قال: "مالك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض } ألا اتخذت حنيفاً " قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: " لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله ") [52].

---

[47] 6345.
[48] خ5219- م2130.
[49] تفسير ابن كثير ج4 ص350- 351.
[50] آل عمران 118.
[51] تفسير القرطبي ج4 ص178- 181.
[52] اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ج1 ص50.

وقال القرطبي رحمه الله : (وعن عمر رضي الله عنه قال: " لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أمـوركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى" ، وقيل لعمر رضي الله عنـه: إن ههنـا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنـك؟ فقـال: "لا آخذ بطانة من دون المؤمنين". فلا يجوز استكتاب أهل الذمة ولا غـير ذلـك من تصرفاتهم في البيع والشراء والاستنابة إليهم.
قلت: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء، وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء) [53] .

وقال ابن تيمية رحمه الله : (ولا يستعان بأهل الذمة في عمالـة ولا كتابـة لأنه يلزم منه مفاسد أو يفضي إليها
وسئل أحمد في رواية أبي طالب: في مثل الخراج؟ فقال: لا يسـتعان بهم في شيء .
ومن تـولى منهم ديوانـاً للمسـلمين أينقض عهـده؟ ومن ظهـر منـه أذى للمسلمين أو سعى في فساده لم يجـز اسـتعماله، وغـيره أولى منـه بكـل حال، فإن أبا بكـر الصـديق رضـي اللـه عنـه عهـد أن لا يسـتعمل من أهـل الردة أحداً، وإن عاد إلى الإسلام لما يخاف من فساد ديانتهم) [54] .

5- النهي عن تعظيم شـعائر الكفـار ورسـومهم، والنهي عن موافقة الكفار والمرتدين على باطلهم وتزيين ذلك ومدحه :

قال شيخ الاسلام رحمه الله : (فصل فى الولاية والعداوة ؛ فإن المؤمنين أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقـد أوجب الموالاة بين المؤمنين وبين أن ذلك من لـوازم الإيمـان، ونهى عن موالاة الكفار، وبين أن ذلك منتف فى حق المؤمنين وبين حـال المنـافقين فى موالاة الكافرين.
وقـال : (إن الـذين ارتـدوا على أدبـارهم من بعـد مـا تـبين لهم الهـدى الشيطان سول لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نـزل اللـه سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسـرارهم)، وتـبين أن مـوالاة الكفـار كانت سبب ارتدادهم على أدبارهم.
ولهذا ذكر فى سورة المائدة أئمة المرتدين عقب النهى عن موالاة الكفار؛ قولـه : { ومن يتـولهم منكم فإنـه منهم } ، وقـال : { يـا أيهـا الرسـول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بـأفواهم ولم تـؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يـأتوك يحرفـون الكلم من بعـد مواضـعه يقولـون إن أوتيتم هـذا فخـذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا } ، فذكر المنافقين والكفار المهادنين، وأخبر أنهم يسمعون لقوم آخرين لم يأتوك وهـو اسـتماع المنـافقين والكفـار المهـادنين للكفـار المعلنين الذين لم يهادنوا.

[53] تفسير القرطبي ج4 ص179.
[54] الفتاوى الكبرى، الاختيارات العلمية، كتاب الجهاد، ج4 ص607 وما بعدها.

كما أن فى المؤمنين من قد يكون سماعاً للمنافقين، كما قال : { وفيكم سماعون لهم }، وبعض الناس يظن أن المعنى سماعون لأجلهم بمنزلة الجاسوس أى يسمعون ما يقول وينقلونه اليهم.
وإنما المعنى فيكم من يسمع لهم أى يستجيب لهم ويتبعهم، كما فى قوله سمع الله لمن حمده استجاب الله لمن حمده أى قبل منه، يقال فلان يسمع لفلان أى يستجيب له ويطيعه.
فمن كان من الأمة موالياً للكفار من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها -مثل إتيانه أهل الباطل واتباعهم فى شئ من مقالهم وفعالهم الباطل- كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك.
والله تعالى يحب تمييز الخبيث من الطيب والحق من الباطل، فيعرف أن هؤلاء الأصناف منافقون أو فيهم نفاق، وإن كانوا مع المسلمين، فإن كون الرجل مسلماً فى الظاهر لا يمنع أن يكون منافقاً فى الباطن.
فإن المنافقين كلهم مسلمون فى الظاهر، والقرآن قد بين صفاتهم وأحكامهم، واذا كانوا موجودين على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفى عزة الاسلام مع ظهور أعلام النبوة ونور الرسالة، فهم مع بعدهم عنهما أشد وجوداً، لاسيما وسبب النفاق هو سبب الكفر وهو المعارض لما جاءت به الرسل) [55] .

6- النهي عن إعانتهم على المسلمين :

قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين } [56] .

قال الطبري رحمه الله في سبب النزول : (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال إن الله -تعالى ذكره- نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاءً على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان) [57] .

قال ابن تيمية رحمه الله عن التتار : (وكل من قفز إليهم من أمراء العسكر فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام ، وإذ كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلاً للمسلمين) [58] .

---

[55] ? مجموع الفتاوى ج28 ص190- 202.
[56] ? المائدة 51- 53.
[57] تفسير الطبري ج6 ص276.
[58] ? الفتاوى الكبرى ج4 ص332 وما بعدها

قال ابن حزم رحمه الله : (وقد علمنا أن من خرج عن دار الإسلام إلى دار الحرب فقد أبق عن الله تعالى وعن إمام المسلمين وجماعتهم، ويبين هذا حديثه صلى الله عليه وسلم أنه : "بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"، وهو عليه السلام لا يبرأ إلا من كافر ، قال الله تعالى : { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض } [59] .
قال أبو محمد رحمه الله : فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد، له أحكام المرتد كلها من وجوب القتل عليه متى قدر عليه ومن إباحة ماله وانفساخ نكاحه وغير ذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبرأ من مسلم.
وكذلك من سكن بأرض الهند والسند والصين والترك والسودان والروم من المسلمين، فإن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق فهو معذور، فإن كان هناك محارباً للمسلمين معيناً للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر.
ولو أن كافراً مجاهداً غلب على دار من دور الإسلام، وأقر المسلمين بها على حالهم، إلا أنه هو المالك لها المنفرد بنفسه في ضبطها وهو معلن بدين غير دين الإسلام لكفربالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه وإن ادعى أنه مسلم لما ذكرنا) [60] .

وقوله : " كافراً مجاهداً " لعله تصحيف صوابه " كافراً مجاهراً " والله أعلم.

فماذا يقول الطبري و ابن حزم وابن تيمية رحمهم الله لو شاهدا الطائرات والجيوش الأمريكية وحلفاءها التي تنطلق من دول الخليج لتضرب المسلمين في العراق ؟
وماذا يقولان لو شاهدا الطائرات الأمريكية التي تقلع من باكستان لتقتل المسلمين في أفغانستان ؟
وماذا يقولون لو شاهدوا السفن والطائرات الأمريكية والغربية وهي تتزود بالوقود والمؤن والذخائر من دول الخليج واليمن ومصر في طريقها لحصار العراق واحتلال جزيرة العرب وحماية أمن إسرائيل ؟
وماذا يقولون لو شاهدوا البيوت تهدم على رؤوس سكانها من مسلمي فلسطين بسلاح الأمريكان - أصدقاء حكامنا - وماذا يقولون لو شاهدوا الطائرات الأمريكية تقصف المجاهدين بالصواريخ في اليمن متواطئة مع حكومتها ؟

7- الأمر بجهادهم وكشف باطلهم وعدم مودتهم والبعد عنهم :

لم ينهنا المولى سبحانه عن موالاة الكفار فقط، بل أمرنا أيضاً بجهاد الكفار الأصليين والمرتدين والمنافقين:

---

[59] التوبة 71.
[60] المحلى ج11 ص199،200.

أ- جهاد الكفار الأصليين وتعينه إذا استولوا على بلاد الإسلام :

قال ابن تيمية رحمه الله : (وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا) .
وقال أيضاً : (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده) [61] .

فتأمل هذا القول القوي الشديد من العالم المجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في استدلاله بالإجماع على جهاد الكفار الغزاة لديار الإسلام، وتأمل تأكيده على أنه ليس بعد الإيمان أوجب من دفعهم، وأن هذا مما اتفق عليه علماء الأمة رحمهم الله جميعاً، ثم قارن هذا الكلام بكلام علماء السلاطين ودعاة القعود الذين يجتهدون في صرف المسلمين عن الجهاد بكل حيلة، حتى يأمن الكفار الغزاة في غزوهم لبلادنا، ويتم لهم ما يريدون في يسر وراحة واطمئنان.

ب- جهاد المرتدين الحاكمين لبلاد الإسلام :

من أعظم صور الجهاد العيني في هذا الزمان جهاد الحكام المرتدين الحاكمين بغير شريعة الإسلام الموالين لليهود والنصارى، وهذا الأمر مما اتفق عليه العلماء رحمهم الله، واستفاضت فيه أقوالهم، ونحن هنا نكتفي بإيراد بعضها ، قال الله تعالى : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } [62] .

قال الشافعي رحمه الله : (باب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى : { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول }، وقال تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله }، وقال تعالى : { ومن يطع الرسول فقد أطاع الله }، وقال تعالى : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } ، فأكد جل وعلا بهذه الآيات وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبان أن طاعته إطاعة الله، وأفاد بذلك أن معصيته معصية الله، وقال الله تعالى : { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم }، فأوعد على مخالفة أمر الرسول، وجعل مخالف أمر الرسول والممتنع من تسليم ما جاء به والشاك فيه خارجاً من الإيمان بقوله تعالى : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً }.

---

[61] ? الفتاوى الكبرى، الاختيارات العلمية، كتاب الجهاد، ج4 ص607 وما بعدها.
[62] ? النساء 65.

قيل في الحرج ههنا: إنه الشك روي ذلك عن مجاهد، وأصل الحرج الضيق، وجائز أن يكون المراد التسليم من غير شك في وجوب تسليمه ولا ضيق صدر به، بل بانشراح صدر وبصيرة ويقين.
وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول والإمتناع من التسليم.
وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم. لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان) [63] .

وقال الله تعالى : { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون } [64] .

قال ابن كثير رحمه الله : (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير) [65] .

ج- جهاد المنافقين الذين يروجون للشبهات :

أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد المنافقين بالغلظة والشدة وإظهار الحجة وإقامة الحدود.
قال الله تعالى : { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم } [66] .

قال القرطبي رحمه الله : (فيه مسألة واحدة وهو التشديد في دين الله، فأمره أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله، والمنافقين بالغلظة وإقامة الحجة، وأن يعرفهم أحوالهم في الآخرة وأنهم لا نور لهم يجوزون به الصراط مع المؤمنين ، وقال الحسن: أي جاهدهم بإقامة الحدود عليهم) [67] .

---

63 ? أحكام القرآن للشافعي رحمه الله ج 3 ص 180،181.
64 ? المائدة 50.
65 ? تفسير ابن كثير ج 2 ص 68.
66 التحريم 9.
67 ? تفسير القرطبي ج18 ص201.

8- الأعذار التي لا يقبلها الشرع ممن يوالون الكفار :

لم يقبل المولى سبحانه من المنافقين أعـذارهم، بـأنهم يتولـون الكـافرين وينصرونهم خوفاً من دوائر الزمان وتغير الدول، فربما انتصـر الكفـار على المسلمين، فتكون للمنافقين عند الكفار يـد، قـال اللـه تعـالى : { يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الـذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسـى اللـه أن يـأتي بـالفتح أو أمـر من عنـده فيصـبحوا على مـا أسـروا في أنفسـهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا باللـه جهـد أيمـانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين } [68] .

قال ابن كثير رحمه الله : ({ فترى الـذين في قلـوبهم مـرض } أي شـك وريب ونفاق ، { يسارعون فيهم } أي يبادرون إلى موالاتهم ومـودتهم في الباطن والظـاهر ، { يقولـون نخشـى أن تصـيبنا دائـرة } أي يتـأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى) [69] .

9- الأمر بموالاة المؤمنين ومناصرتهم :

بعد أن بينا ما نهانا الله سبحانه وتعالى عنه من موالاة الكـافرين نـوجز مـا أمرنا الله به من موالاة المؤمنين.

قال الله تعالى : { إن الذين آمنـوا وهـاجروا وجاهـدوا بـأموالهم وأنفسـهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنــوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حـتى يهـاجروا وإن استنصـروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أوليـاء بعض إلا تفعلـوه تكن فتنـة في الأرض وفساد كبير * والذين آمنوا وهـاجروا وجاهـدوا في سـبيل اللـه والـذين آوو ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفـرة ورزق كـريم * والـذين آمنـوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحـام بعضـهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم } [70] .

قال القرطبي رحمه الله : (قوله تعالى: { وإن استنصـروكم في الـدين } يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهـاجروا من أرض الحـرب عـونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فـأعينوهم، فـذلك فـرض عليكم فلا تخـذلوهم، إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته.

---

[68] المائدة 51- 53.
[69] تفسير ابن كثير ج2 ص71.
[70] سورة الأنفال72- 75.

قال ابن العربي: إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة، والنصـرة لهم واجبـة حـتى لا تبقى منـا عين تطـرف، حـتى نخـرج إلى اسـتنقاذهم إن كـان عـددنا يحتمـل ذلـك، أو نبـذل جميـع أموالنـا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلمـاء. فإنـا لله وإنا إليه راجعـون على مـا حـل بـالخلق في تـركهم إخـوانهم في أسـر العدو، وبأيديهم خزائن الأمـوال وفضـول الأحـوال والقـدرة والعـدد والقـوة والجلد) [71] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (ذكر تعـالى أصـناف المؤمـنين، وقسـمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر اللـه ورسـوله وإقامـة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلـك، وإلى أنصـار وهم المسـلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهـاجرين في منـازلهم، وواسـوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهـؤلاء بعضـهم أوليـاء بعض، أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد، ولهـذا آخى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار كل اثنين إخوان .
وقوله تعالى : { والـذين آمنـوا ولم يهـاجروا مـالكم من ولايتهم من شـيء حتى يهاجروا } هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الـذين آمنـوا ولم يهاجروا بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصـيب ولا في خمسها إلا ماحضروا فيه القتال.
يقول تعالى: { وإن استنصروكم } هـؤلاء الأعـراب الـذين لم يهـاجروا في قتـال ديـني على عـدو لهم فانصـروهم، فإنـه واجب عليكم نصـرهم، لأنهم إخوانكم في الدين إلا أن يستنصـروكم على قـوم من الكفـار بينكم وبينهم ميثاق، أي مهادنة إلى مدة فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الـذين عاهدتم، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه) [72] .

وقال الله تعالى : { والمؤمنـون والمؤمنـات بعضـهم أوليـاء بعض يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمـون الصـلاة ويؤتـون الزكـاة ويطيعـون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم } [73] .

قال ابن كثـير رحمـه اللـه : (لمـا ذكـر تعـالى صـفات المنـافقين الذميمـة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقـال: { والمؤمنـون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض } أي يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصـحيح [74] " المؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشـد بعضـه بعضـاً، وشـبك بين أصـابعه "، وفي الصـحيح أيضـاً [75] "مثـل المؤمـنين في تـوادهم وتـراحمهم كمثـل الجسـد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الجسـد بـالحمى والسـهر") [76] .

10- الخلاصة :

---

[71] ? تفسير القرطبي ج8 ص57.
[72] ? تفسير ابن كثير ج2 ص329، 330.
[73] سورة التوبة 71.
[74] خ481 - م2585.
[75] خ6011 م2586.
[76] تفسير ابن كثير ج2 ص370.

1- نهانا الله سبحانه أن نتخذ الكفار أولياء ننصرهم على المؤمنين باليـد واللسان، ومن فعل ذلك فهو كافر مثلهم، وأجـاز الشـرع لمن خـاف القتـل أو القطـع أو الأذى العظيم أن يتكلم بمـا يـدفع بـه الأذى عن نفسه –لا بما يجلب به النفع- من الكفار دون أن يوافقهم في باطنـه أو يناصرهم على المسلمين بفعل أو قتل أو قتـال، والأفضـل لـه أن يتصلب ويصبر.

2- أمرنا المولى سبحانه ببغض الكافرين وترك مودتهم، وأنهم يبغضوننا ويحسدوننا على ديننـا ويتمنـون زوالنـا عنـه، وأن عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه عد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه منافقاً لمجرد أنه أرسل للكفار يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليـه وسـلم إليهم بجيش لا قبل لهم به، وسعى في قتله، ولم ينكـر عليـه النـبي صـلى الله عليه وسلم ذلك، ولكنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عفـا عن ذنبـه العظيم بعمله الصالح العظيم بشهوده بدراً ، وأن هناك علاقة وثيقــة بين محبة المولى سبحانه وموالاة المؤمنين والجهاد في سبيل الله ، وأن إيصال الخير والتعامل بالعدل مع من لم يعادينا من الكفار ليس من الموالاة المنهي عنها.

3- نهانا الشرع عن اتخاذ الكفار بطانة وأمناء على أسرارنا.

4- نهى الشرع عن تولية الكفار في المناصب الهامة.

5- نهانا الشرع عن اتباع اعتقادات الكفار وآرائهم وتعظيمها.

6- نهانـا الشـرع عن إعانـة الكفـار على المسـلمين، وأن الإكـراه ليس بعذر في قتال الممسلمين تحت راية الكفار.

7- أمرنا الشرع بجهاد الكفار – الأصليين منهم والمرتدين - والمنافقين، وأن جهــاد الكفــار المســتولين على بلاد الإســلام هــو من أوجب الواجبات بعد الإيمان بإجماع العلماء.

8- لم يقبل الشرع عذر المنافقين بأنهم يوالون الكفـار خوفـاً من تقلب الأحوال.

9- أوجب علينا الشرع مناصرة المسلمين على الكفار.

الفصل الثاني

صور من الانحراف عن عقيدة الولء والبراء

1- الحكام جمعوا بين الحكم بغير ما أنزل الله وموالاة اليهود والنصارى :

من أكثر الفئات انحرافاً عن منهج الإسلام في الولاء والبراء في هذا الزمان - رغم ادعائهم الانتساب للإسلام - فئة الحكام الخارجين على الشريعة المسيطرين على بلاد الإسلام.

وقد اتسع خطر هذه الفئة على الأمة المسلمة حتى أصبحت أشد خطر يحرف الأمة عن عقيدتها، ويمنعها بالقوة من اتباع دينها، وذلك لأنها فئة شديدة الانحراف عن منهج الإسلام شديدة السيطرة على أمور المسلمين وأرواحهم وأموالهم، وفي نفس الوقت شديدة الانتشار فلا يكاد يفلت من شرها بلد من بلاد الإسلام.

وانحراف هذه الفئة انحراف مركب، فهي فئة لا تحكم بالشريعة بالإضافة لموالاتها واستسلامها لأعداء الإسلام الخارجيين وخاصة اليهود والنصارى.

فإذا نظرنا إلى موالاتهم لليهود والنصارى لوجدنا أنهم قد حولوا بلاد الإسلام وخاصة في العالم العربي إلى قواعد لتموين وحشد قوات اليهود والنصارى، فالناظر إلى حال الجزيرة العربية وإمارات الخليج ومصر والأردن يراها وقد تحولت إلى قواعد ومعسكرات للدعم الإداري والفني للقوات الصليبية في قلب العالم الإسلامي، زد على ذلك أن هذه الحكومات قد سخرت جيوشها لخدمة أهداف الحملة الصليبية الجديدة على الأمة الإسلامية.

والناظر إلى ظاهرة الحكام الخارجين عن الشريعة المسيطرين على بلاد الإسلام يجدها تمتد إلى عقود سابقة من الزمان في تاريخنا المعاصر، فقد استطاع أعداء الإسلام وخاصة الأمريكيين واليهود والفرنسيين والإنجليز - عبر سلسلة من المؤمرات والعلاقات الخفية والدعم المباشر وشراء الذمم والرواتب والحسابات السرية والإفساد والتجنيد - تمكين هذه الفئة من مصائر المسلمين، وهذا تاريخ ليس مجال شرحه هنا، ولكننا نشير إلى أن القوى المعادية للإسلام استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تحتوي وتصب هذه الحكومات في قالب النظام العالمي الممثل للحلفاء المنتصرين في الحرب وهو قالب الأمم المتحدة.

والأمم المتحدة – باختصار - في ميزان الإسلام هي هيئة كفرية عالمية مسيطرة لا يجوز الدخول فيها ولا التحاكم إليها تقوم على نبذ التحاكم لشريعة الإسلام، والرضوخ لإرادة خمسة من أكابر المجرمين في هذه الدنيا، يسيطرون على قيادة الأمم المتحدة المعروفة بمجلس الأمن.
ونشير أيضاً إلى أن أعداء الإسلام جعلوا هذه الحكومات تقبل بالوجود القانوني للكيان اليهودي في فلسطين عبر العديد من الاتفاقيات الرسمية والمواقف العملية، بدءاً من اتفاقية الهدنة عام 1949 إلى اتفاقيات أوسلو عام 1993.
ثم جاءت قمة بيروت الأخيرة عام 2002 لتؤكد على إجماع الدول العربية على قبول الوجود الإسرائيلي قبولاً تاماً.

وجدير بالذكر أن الصلح مع إسرائيل والاعتراف باستيلائها على فلسطين يتضمن إنكاراً لأحكام شرعية واجبة ومعلومة من الدين بالضرورة.
فهو يتضمن إنكار الجهاد العيني المفروض على المسلمين لطرد الكفار الغزاة من ديار الإسلام كما بينا آنفاً، كما أنه يتضمن إنكار وجوب نصرة المسلمين في فلسطين وهو واجب عيني معلوم من الدين بالضرورة، قال الله تعالى : { وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً } [77] .

قال القرطبي رحمه الله : (قوله تعالى: { وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله } حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس) [78] .

ولم يقتصر الأمر على التخلف عن الفروض العينية بل إن معظم الدول العربية قد شاركت في مؤتمر شرم الشيخ 1996 مع إسرائيل وأمريكا وروسيا ومعظم الدول الغربية حيث اتفق الجميع وتعاهدوا على حماية إسرائيل من هجمات المجاهدين.

وفي هذا الإطار من الانصياع لإرادة أكابر المجرمين استطاعت القوى المعادية للإسلام وعلى رأسها الصليبيون الجدد أن يسخروا حكومات بلادنا لخدمة أهدافهم العسكرية والاقتصادية.

حتى وصلنا إلى ما نراه اليوم من حالة التبعية الكاملة للصليبيين الجدد، ففلسطين تمزق وتدمر ويذبح أبناؤها كل يوم وجاراتها العربيات صامتات أو متواطئات، والعراق تشن عليه الحملة تلو الحملة لقتل شعبه المسلم وتقسيم أرضه ونهب بتروله وجيرانه العرب يقدمون كل أشكال المساعدة والدعم لقوات الصليبيين الجدد، وأفغانستان تعبث بها القوات الصليبية

---

[77] ? النساء 75.
[78] تفسير القرطبي ج5 ص279.

وجيرانها يتواطئون مع الأمريكـان لتمكينهم من السـيطرة على أفغانسـتان وشعبها.

هـذه الفئـة وهي فئـة الحكـام الخـارجين على الشـريعة لا يخفى فسـادها وإفسادها وجرائمها على عامة المسـلمين ناهيـك عن خاصـتهم، ومـوالاتهم لليهود والنصارى أظهر من أن تخفى.

ولذلك فإنهم خوفاً من انتفاض الأمة المسـلمة وشـبابها المجاهـد ضـدهم - وخاصة في غمرة تصاعد العدوان الصـهيوأمريكي على فلسـطين والعـراق والشيشـان وكشـمير - اسـتعانوا بعـدد من الفئـات لتخـدير الأمـة وضـمان استمرار عجزها وسلبيتها واستسلامها، وأخطر هذه الفئات هي التي تـتزي بزي الإسلام والدعوة إليه، لتنفذ من خلاله إلى عقيدة الأمة وعقلها وقلبها، تماماً مثلمـا تحـاول الجـراثيم الفتاكـة أن تتخطى جهـاز مناعـة الإنسـان أو تدمره لتعيث فساداً في خلايا الجسم البشري.

وهذا ما سنوجزه في الفقرات التالية.

2- أعـــوان الحكـــام : من العلماء الرســـميين والصـــحافيين والإعلامــيين والكتــاب والمفكــرين وغــيرهم من المــوظفين الرسـميين الـذين يتلقـون رواتبهم في مقابـل نصـرة الباطـل وتزيينه ومعاداة أهل الباطل وتشويههم :

وهذه الفئة هي أعلى الفئات صـوتاً في المـوالاة للحكـام العملاء والقـوات الصليبية الغازية لديار الإسلام، أو أهل الذمة كما يفترون.
لكنهم – للأسف - هربوا من سؤال في غايـة الخطـورة والحـرج: من يـدفع الجزية لمن؟

وهـذه الفئـة بأخلاطهـا المختلفـة اتبعت أسـلوباً من التلفيـق العقائـدي بين العقائـد المنحرفـة الـتي نبـذها أئمـة الإسـلام سـلفاً وخلفـاً؛ أهـل السـنة والجماعة.
فهذه الفئة جمعت بين:

1. عقيدة الإرجاء في أفضـح صـورها – بلا حيـاء - في إسـباغ الشـرعية على أسـوأ صـور الانحلال والتبعيـة والفسـاد والنهب الـذي تمثلـه الأنظمة الحاكمة المرتدة الخارجة على الشريعة.

2. بالإضـافة إلى تبنيهـا لمنهج الخـوارج في تكفـير وتفسـيق وتبـديع واستباحة دماء وحرمات المجاهدين العاملين للإسلام.

فمفتي الديار المصرية وهو الموظف الرسمي في الحكومة المصرية الذي يتلقى راتبه منها ليؤدي عمله الذي استأجروه عليـه؛ وهـو إسـباغ الشـرعية على النظـام العلمـاني البـاطش بالمسـلمين المـوالي لليهـود، في صـورة

تتفوق في غلوها على أشد عتاة غلاة المرجئة الأوائل، هو نفسه الذي أفتي المحكمة العسكرية العلمانية بإعدام المجاهدين الخمسة أبطال الإسلام في مصر - محمد عبد السلام فرج وعبد الحميد عبد السلام وخالد الإسلامبولي وحسين عباس وعطا طايل - الذين قتلوا أنور السادات، الذي وقع أربع اتفاقيات مع إسرائيل تعهد فيها بالاعتراف بدولة إسرائيل واستيلائها على فلسطين، وعدم الاعتداء عليها أو مساندة أية دولة تعتدي إسرائيل عليها، بل ونزع سلاح سيناء ضماناً لأمن إسرائيل، إلى غير ذلك من الاتفاقات السرية.

وأشهر هذه الاتفاقات هي اتفاقية السلام مع إسرائيل في عام 1979 التي نصت علي إنهاء الحرب بين مصر وإسرائيل إلى الأبد، ومنعت مصر من مساعدة أية دولة تتعرض لعدوان إسرائيل، بل ودعت إلى التطبيع مع إسرائيل في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، ثم أصدر الأزهر فتوى يبارك فيها هذه الاتفاقية، ويقرر فيها أنها تتفق مع الشريعة !! .

ونوع آخر من المفتين يدعون إلى طاعة أولياء الأمور، وفي نفس الوقت يعتبرون المجاهدين دعاة فتنة، وهم قد أجازوا الاستعانة بالأمريكان وباعتبار جيوشهم الجرارة التي سدت الأفق وأساطيلهم الجبارة التي ضاق عنها البحر والتي بلغت مئات الألوف من الجنود الغزاة من المستأمنين !
ولا ندري من الذي يؤمن من ؟ وصدرت منهم فتاوى جماعية بجواز الاستعانة بالقوات الأمريكية لمواجهة النظام البعثي العراقي بدعوى الضرورة، ، بل وأسبغوا الشرعية على وجود جحافل الكفار الغازية لأقدس بقاع المسلمين، وقد مر على وجود هذه القوات حتى الآن قرابة اثني عشر عاماً بعد انسحاب العراق واستسلامه، قتلت فيها تلك القوات –بالحصار- قرابة مليون ونصف مليون طفل في العراق دون أن ينطق هؤلاء الموظفون بكلمة واحدة في هذا الشأن.

والأمر ليس أمر استعانة بقوات الكفار ضد قوات صدام البعثية، بل الأمر أمر احتلال لمنابع النفط في جزيرة العرب. فلم يكن هناك ضرورة لإحضار الأمريكان، فإن جيوش الدول العربية والإسلامية كان فيها الكفاية والغنى لحماية الكويت أو تحريرها.

ولكن هؤلاء الحكام لا إرادة لهم، بل هم صنيعة المخططات البريطانية التي رسمت لهم حدودهم، ونصبتهم على عروشهم، ثم ورث الأمريكان النفوذ البريطاني، وأصبح لهم الأمر والنهي على كل حكام الجزيرة العربية وسائر العالم العربي.

إذن فقد جاء السادة ليدافعوا عن ممتلكاتهم، وليس لهؤلاء الشيوخ والملوك شأن بأمن الجزيرة العربية أو الدفاع عنها.

والآن وبعد أن استسلم العراق وفرض الحظر الجـوي على نصـف أراضـيه واستقل الشمال الكردي عن حكومة بغداد وفرضت لجـان التفـتيش عليـه وألزم بدفع التعويضات، بعد كـل هـذا لا يـزال الوجـود العسـكري الصـليبي على جزيرة العرب في ازدياد، بل إنهم يعدون لحملـة جديـدة على العـراق ينتظر لها أن تقتل مئـات الآلاف من المسـلمين، حـتى يسـتولوا على نفـط العراق.

ثم سيتحولون بعد ذلك إلى – كما صرحوا في الكـونجرس - إلى السـعودية لتقسيمها، ثم إلى مصر وهي الجائزة الكبرى على حد تعبيرهم.

إذن المسألة ليسـت مسـألة اسـتعانة بـل المسـألة مسـألة احتلال وسـلب ونهب وسيطرة وقهر من الصليبيين على المسلمين في أقـدس أراضـيهم؛ جزيرة العـرب. وهـؤلاء الحكـام مـا هم إلا طلاء بـاهت على جـدار الوجـود الأمـريكي، ثم يـأتي –بعـد ذلـك- علمـاء السـلطان ليوقعـوا على الفتـاوى المحولة لهم من المقام السامي، التي تبيح هذا الاستيلاء وهذا النهب وهـذا التسلط الصليبي بل وهذا السفك لدماء المسلمين في العراق.

ثم يفتي المفتي العام للسعودية – أيضـاً - بجـواز الصـلح مـع إسـرائيل لأن الذي عقده معهم هو ولي أمر المسلمين " ياسر عرفات ".

وبعض المنتسـبين إلى الـدعوة في الكـويت صـرخوا بعـد قتـل المجاهـدين للأمريكـان في فيلكـا، وانتفضـوا غاضـبين للتعـدي على الصـليبيين الـذين وصفوهم بأهل الذمة، ونسوا أن أهـل الذمـة يعيشـون تحت ظـل سـلطان المسلمين، ويدفعون لهم الجزية، وتجري عليهم أحكام الإسلام، بينما هؤلاء المشايخ وأمرائهم يعيشون تحت قهر الصـليبيين وفي سـلطانهم، ويلجـأون إلى حمـايتهم ويـدفعون لهم الأمـوال الباهظـة طوعـاً وكرهـاً حـتى يرضـوا عنهم، ولا يسـتطيعون أن يخـالفوا إرادتهم قيـد أنملـة. فمن في ذمـة من؟ ومن يدفع الجزية لمن ؟ ومن في قهر من ؟
ونسوا أيضاً أن الكويت من جزيرة العرب ولا يجوز بقـاء اليهـود والنصـارى فيها أصلاً.

وكل هـؤلاء - الـذين يقطعـون الطريـق إلى اللـه - يـأمرون النـاس بطاعـة أولئك الخارجين على الشـريعة في تـرك الجهـاد الـواجب، فـارتكبوا بـذلك عدة مصائب :

1- أعانوا على استمرار استيلاء الكفار على بلاد الإسلام.
2- ثبطوا الناس عن الجهاد العيني المفروض عليهم.
3- أضفوا الشرعية على الحكومات الباطلة الخارجة على الشريعة.
4- سبوا المجاهدين وافتروا عليهم.

ومن الحيل التي يسوقها هؤلاء دعواهم أن الجهاد حق وواجب وأنه طريق الخلاص ولكن ليس الآن وقته، فالمرحلة الآن مرحلة الإعداد، والمرحلة الآن مرحلة التفرغ للدعوة، إلى آخر هذه الدعاوى.

ويجادلون عن هذه الشبهة جدالاً شديداً، ولكنهم يتهربون من السؤال المحرج الخطير: لماذا بعد كل هذه العقود من المذلة لم تعدوا شيئاً ؟ ومتى سينتهى هذا الإعداد ؟ ولا جواب عندهم لأن الإعداد عندهم لا نهاية لمدته. قال الله تعالى: { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة } [79] .

وليتهم حتى أصلحوا عقائد الناس ، وبينوا لهم عقيدة التوحيد الصافية كما أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وكما نقلها السلف الصالح، ولكنهم – وللأسف - يبدون بعضها ويخفون كثيراً منها.

فجل كلامهم في التوحيد ينصب على العامة والضعفاء، أما خروج الحكام الطواغيت عن الإسلام وموالاتهم لليهود والنصارى فلا يتطرقون إليه.

ومن العجب أن بلاد الإسلام واقعة تحت النفوذ الأجنبي منذ عقود، وليس الوجود العسكري الاحتلالي الصليبي الحالي نتيجة مفاجأة أو انقلاب طارئ في السياسة الدولية، بل هو ثمرة سياسة مستمرة من التبعية للغرب تمتد لما يزيد عن مائة عام، ومع ذلك لم نسمع من هؤلاء عن هذه المصيبة شيئاً إلا نادراً وبإشارات عابرة وبعيدة.

وتارة يشغبون بقولهم إن المجاهدين لا يقدرون المصالح والمفاسد، وأن ما جلبوه من المفاسد أكثر مما حققوه من المصالح، ولكنهم لا يجيبون على السؤال المحرج: حسناً، وما هو الأسلوب الجهادي الذي تقترحونه والذي يحقق المصالح ويتجنب المفاسد ؟
والجواب عندهم هو: ترك الجهاد.

وإذا سألتهم : لو فرضنا أن المجاهدين لم يقوموا بواجبهم، وانضموا إلى صفكم؛ صف القاعدين التاركين للجهاد تحت شتى المبررات، فهل كان أعداء الأمة سيتوقفون عن عدوانهم ؟
وهل كان الفساد والإفساد سينحسر؟
وهل كان اليهود سيرحلون عن فلسطين ؟
وهل كانت إسرائيل ستكف عن مخططها لتهويد فلسطين وهدم المسجد الأقصى والسعى لإقامة إسرائيل الكبرى ؟
وهل كان العلمانيون سيكفون عن زيغهم وتضليلهم ؟
وهل كان مروجو الفاحشة سيتوبون ويتعففون ؟
وهل كان الطواغيت الحاكمون سيتركون كراسيهم ويفتحون أبواب السجون ويكفون جلاديهم عن تعذيب شعوبهم؟
وهل وهل وهل ؟

---

[79] ? التوبة 46.

ثم يضيفون إلى هذه الشبهات مزيداً من السحب والحجب، فيخاطبون الشباب بقولهم: لماذا لا تنشغلون بطلب العلم ؟
لماذا لا تنشغلون بمحاورة الكفار ومجادلتهم ؟
لماذا لا تنشغلون بإنشاء المدارس ورعاية الأيتام ومداواة المرضى ؟
لماذا لا تنشغلون بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة ؟

وليتهم صدقوا في دعوتهم لتصحيح العقيدة.
وحقيقة دعوتهم هي: لماذا لاتنشغلون عن الجهاد ؟

إنه مرض فقدان المناعة العقائدي الفكري، فلنحذره أشد الحذر، فإن عاقبته الضياع والخسران والذل والاستسلام.

وحاصل دعوتهم تثبيط المجاهدين عن الجهاد، وإخلاء الميدان من الشباب المجاهد حتى يأمن الغزاة المعتدين من أية مقاومة أو تدافع، ولذلك فإن أعداء الإسلام ينظرون إليهم في رضا ويشيرون على حكوماتهم بإفساح المجال لهم.

3- دعاة التصالح الموهوم:

والفئة الثالثة من الفئات المنحرفة عن منهج الولاء والبراء هي الفئة التي تدعو إلى التصالح مع الحكومات الخارجة على الشريعة لمقاومة أعداء الأمة.

وملخص منطقهم : نتعاون مع اللص من أجل استعادة ما سرقه منا، ونتصالح مع الفاجر من أجل الحفاظ على الأعراض التي انتهكها، ولو طردوا قاعدتهم لقالوا: نتصالح مع اليهود والنصارى حتى نقنعهم بالخروج من بلادنا ويرحلوا في سلام عنا؟؟ ويطالبوننا بأن نكذب الواقع المشاهد ونصدق هذه الأوهام.

وحاصل دعوة هؤلاء – أيضاً - هو كف المقاومة عن العدو الأساسي للأمة، وتسليم قياد المجاهدين إلى الخونة الذين يطفح تاريخهم بالجرائم ضد الإسلام، والذين لم يدافعوا عن فلسطين يوماً، ولم يألوا جهداً في الاعتراف بإسرائيل، وفتح بلادنا للقوات الصليبية.

5- مجاهدو أمريكا:

والفئة الرابعة من الفئات المنحرفة عن عقيدة الولاء والبراء في هذا الزمان هم بعض الجماعات والقيادات المنتسبين للجهاد في أفغانستان، الذين والوا الأمريكان ومنهم من كان يشار إليه بالبنان، تحرسهم قوات حفظ السلام الدولية تحت علم الأمم المتحدة، وتحيط بهم القوات الأمريكية، وتظلهم القاذفات الأمريكية، وهم مسرورون على ما نالوه من فتات السلطة على أشلاء شعبهم ودماء المجاهدين !

قال الله تعالى: { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسـدوا في الأرض وتقطعـوا أرحـامكم * أولئـك الـذين لعنهم اللـه فأصـمهم وأعمى أبصـارهم * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، إن الـذين ارتـدوا على أدبـارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم * ذلـك بـأنهم قـالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسـرارهم * فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلـك بـأنهم اتبعـوا مـا أسـخط اللـه وكرهـوا رضـوانه فأحبـط أعمـالهم، أم حسـب الـذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشـاء لأرينـاكهم فلعـرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمـالكم، ولنبلـونكم حـتى نعلم المجاهدين منكم والصادقين ونبلو أخباركم } [80] .

[80] محمد 22- 31.

الخاتمة

وفي ختام هذه الصفحات نود أن نؤكد على عدد من المعاني الخطيرة :

1- إن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ركن خطير في عقيـدة المسـلم، لا يتم إيمانه إلا به.
قال اللـه تعـالى: (يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أوليـاء بعضهم أولياء بعض ومن يتـولهم منكم فإنـه منهم إن اللـه لا يهـدي القـوم الظالمين) [81] .
ومعاداة الكافرين التي هي ركن الإيمان بالله لا تتم إلا بـالكفر بالطـاغوت، قال تعالى : { ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن باللـه فقـد استمسـك بـالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم } [82] ، وقـال تعـالى : { ألم تـر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنـزل إليـك ومـا أنـزل من قبلـك يريـدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً } [83] ، فلا بد لنا من مفاصلة الطواغيت وأعوانهم والتـبرؤ منهم { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قـالوا لقـومهم إنـا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العـداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ... } [84] .

2- إن التفريط في هذا الركن الأساسي هو الثغرة الـتي ينفـذ منهـا أعـداء الإسـلام للقضـاء على الأمـة المسـلمة ولخـداعها وتخـديرها وتوريطهـا في الكوارث والمصائب. قـال اللـه تعـالى: { لـو خرجـوا فيكم مـا زادوكم إلى

[81] المائدة 51.
[82] البقرة 256.
[83] ? النساء 60.
[84] الممتحنة 4.

خبـالاً ولأوضـعوا خلالكم يبغـونكم الفتنـة وفيكم سـماعون لهم واللـه عليم بالظالمين } [85] .

3- إن التفريط في هذا الركن الأساسي يؤدي إلى انحلال عقيدة المســلم، وانسلاخه منها. قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) [86] .

4- إننا أحوج ما نكون إلى التفريق بين أولياء الإسلام الذين يـدافعون عنـه، وبين أعدائـه الـذين يعتـدون عليـه، وبين المذبـذبين الـذين لا يعملـون إلا لتحقيـق مصـالحهم بتـوهين مقاومـة الأمـة وصـرفها عن الميـدان الحقيقي للمواجهـة. قـال اللـه تعـالى: { وإذا رأيتهم تعجبـك أجسـامهم وإن يقولـوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسـبون كـل صـيحة عليهم هم العـدو فاحـذرهم قـاتلهم اللـه أنى يؤفكـون } [87] ، وقـال أيضـاً عـز من قائـل : { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً } [88] .

5- كيف يمكن لنا أن نقبل الدعوات الرامية إلى إخلاء الميدان أمـام أعـداء الأمة المسلمة ؟
كيف يمكن أن نسكت عن سعيهم في حرمان المسلمين من حق مقاومـة أعدائهم ؟
وهو الحق الذي يمارسه كـل البشـر، كيـف يمكن أن نسـكت عن تثـبيطهم والأمة تملك هذا المدد الهائل من الإمكانات والمجاهدين الصادقين ؟
كيف يمكن أن نسمح لهذه الدعوات أن تسري بيننا وقد تعـدى المجرمـون علينا بكافة أنواع التعدي ؟
ولم يرقبوا فينا حرمة ولا خلقاً ولا إلاً ولا ذمة ؟
إن أي مسلم حـريص على انتصـار الإسـلام لا يمكن أن يقبـل أي نـداء إلى إيقـاف الجهـاد أو تعطيلـه، أو صـرف الأمـة عنـه، رغم وجـود كـل هـذه الإمكانيات التي أشرنا إليها، وفي الوقت الذي ينهش أعـداؤنا كـل يـوم في مقدساتنا وحرماتنا وثرواتنا.
قال الله تعالى : { لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون } [89] .
عن ابن عمر رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يقول: ((إذا تبايعتم بالعينـة وأخـذتم بأذنـاب البقـر ورضـيتم بـالزرع وتركتم الجهـاد سـلط اللـه عليكم ذلاً لا ينزعـه حـتى ترجعـوا إلى دينكم)) رواه أحمد وأبو داود.

---

[85] التوبة 47.
[86] آل عمران 149.
[87] المنافقون 4.
[88] النساء 143.
[89] التوبة 10.

6- ولا نكتفي – فقط - برفض أية دعوة لإيقاف الجهاد بل إننا ندعو الأمة بجميع طوائفها وشرائحها وفئاتها إلى الانضمام لقافلة الجهاد والسير في طريقه، والتنافس في القيام به والنكاية في أعدائها.
قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين } [90] .

7- كما إننا نمد أيدينا لكل مسلم حريص على انتصار الإسلام حتى يشاركنا في خطة عمل -لإنقاذ الأمة من واقعها الأليم- ترتكز على البراءة من الطواغيت ومعاداة الكافرين وموالاة المؤمنين والجهاد في سبيل الله.
خطة عمل يتنافس فيها كل حريص على الإسلام على البذل والعطاء من أجل تحرير أراضي المسلمين وسيادة الإسلام في دياره ثم نشر دعوته بين العالمين.
8- إننا نحذر أمتنا من السلبية والتغافل عن الأخطار الجاثمة فوق صدورنا، إن الآلة العسكرية الصليبية اليهودية تحتل القدس الشريف، وتجثم على بعد تسعين كيلومتراً من الحرم المكي، وتحاصر العالم الإسلامي بسلسلة من القواعد والجيوش والأساطيل. وتدير عدوانها عبر شبكة من الحكام المستسلمين.
ونحن لا نريد أن نعيش في كوكب آخر ونتصرف وكأن الخطر على بعد ألف سنة منا، إننا قد نفتح عيوننا -في أي صباح - لنجد الدبابات اليهودية التي تهدم البيوت في غزة وجنين تحاصرمنازلنا.
إن الحملة على العراق لها ما بعدها، وإن قتل أبي علي الحارثي بالصواريخ الأمريكية في اليمن نذير لنا بأن النمط الإسرائيلي في قتل المجاهدين في فلسطين قد انتقل إلى العالم العربي، وكل منا قد يكون غداً هدفاً لصاروخ أمريكي، وأصبع الاتهام الأمريكي لن يفلت منه أي داعية مخلص أو كاتب شريف.
إن علينا أن نتحرك وبسرعة، وكفى ما ضاع من أوقات.
والشباب المسلم عليه ألا ينتظر إذناً من أحد، فإن جهاد الأمريكان واليهود وحلفائهم من المنافقين المرتدين قد صار فرضاً عينياً كما بينا، وعلى كل مجموعة من الشباب أن تحمل هم أمتها وتخطط لرد العدوان عنها. علينا أن نشعل أرضنا ناراً تحت أقدام الغزاة فلن يرحلوا بغير ذلك.

9- وختاماً ندعو أمتنا المسلمة وخاصة شبابها المجاهد إلى الصبر واليقين، الصبر على القيام بأعباء الدين وخاصة ذروة سنامه؛ الجهاد في سبيل الله، قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون } [91] ، واليقين بوعد الله سبحانه، قال الله تعالى : { كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز } [92] .

---

[90] ? الصف 10- 13.
[91] ? آل عمران 200.
[92] ? المجادلة 21.

أخرج مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمـر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تـأتيهم السـاعة وهم على ذلك)) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أيمن الظواهري
شوال 1423هـ

تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد



http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info